الأهرام

المصدر : الشعب
التاريخ : ١٨ مايو ١٩٩٣

نحن أولى من فرنسا بتوظيف العرب الأفغان!

بقلم:
فهمى هويدى

● كما يحدث فى استفادة الغرب من العقول العربية المهاجرة، فإن الامر ذاته يتكرر فى الحالة التى نحن بصددها، وان كانت المفارقة اكبر وأشد مرارة.. إذ المستخدم هنا طاقات ايمانية وجهادية عجز العالم العربى والإسلامى عن الافادة منها.

تنتاب المرء حالة من الاكتئاب والحزن، حين يقرأ فى صحف الصباح انه القى القبض فى احد المطارات العربية على عدد من «المتطرفين» القادمين من افغانستان وانه حين جرى تفتيشهم عثر مع بعضهم على كتب ومجموعة من اشرطة «الكاسيت».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

قبل أشهر ليست بعيدة كان هؤلاء «مجاهدين» يحتفى بهم فى كل مكان وتتناقل وسائل الاعلام العالمية انباء صمودهم وانتصاراتهم التى ازعجت الاتحاد السوفيتى، وأسهمت فى زلزلة قواعده حتى انتهى إلى ما نعرف.

وحين كنا نزور باكستان، فى أى مناسبة، كانت الدعوة إلى زيارة «بيشاور» ولقاء المجاهدين العرب ورجال الإغاثة هناك تضاف تلقائيا إلى برنامج الزيارة لاتاحة الفرصة للباحثين العرب والمسلمين لكى يطلعوا بأنفسهم على الصفحات المشرقة التى سجلها اخوانهم ممن استجابوا إلى داعى الجهاد فتركوا متاع الدنيا ومضوا يبحثون عن الشهادة فى سبيل الله.

● اختلفت الريح واختلف الخطاب واقترنت كلمة «الأفغان» بالتطرف والارهاب، بل تحول المجاهدون إلى مشبوهين ومتهمين، بحيث غدت رحلتهم الجهادية تلك دليلا يثبت التهمة بحقهم ويبرر ادراج اسمائهم فى القوائم السوداء بالمطارات والقاء القبض عليهم بمجرد وصولهم ومصادرة المضبوطات التى يحملونها حتى إن كانت كتبا واشرطة «كاسيت»!

فى مناسبات عديدة قلت اننا نرتكب خطأ جسيما إذا ما عممنا الاتهام على الجميع، وان الكل ينبغى ألا يؤخذوا بجريرة الجزء، إذا ما ثبت أن هؤلاء الاخرين أتوا افعالا مما يعاقب عليه القانون، فذلك التعميم قد يصفى بعض الحسابات السياسية الراهنة لكن سهامه التى تطلق الان تباعا تصيب قيمة الجهاد ذاتها، ولو اعتبرنا كل مجاهد مشبوها ومتهما، وشاع ذلك الاعتقاد بين الناس فمن يمكن ان يستجيب لداعى الجهاد فيما بعد اذا واجه أمتنا ظرفا استدعى استنفار شبابها واستنهاض هممهم للدفاع عن دين، أو أرض، أو عرض؟!! وتهديد ذلك كله ليس افتراضا خياليا ولكنه احتمال قائم، والبوسنة «شاهد ملك» على امكانية حدوثه.

● قلت ايضاً: إننا لا نملك ترف التفريط فى تلك الالوف من الشبان الشجعان الذين ما إن وجدوا هدفا نبيلا يستحق ان يضحى من أجله بالارواح حتى توافدوا من كل فج متسابقين على الشهادة فمنهم من فاز بها ومنهم من لا يزال يتشوق إليها.

كثيرا ما تساءلت: أما من وسيلة لتوظيف طاقات هؤلاء الايمانية والجهادية لصالح هدف شريف من أهداف أمتنا؟ وهل يعقل أن يتوافر لنا ألوف الشباب المستعد للموت ثم نعجز عن أن نستفيد منهم، ونفشل فى العثور على قضية واحدة جديرة بأن يقدموا أرواحهم دفاعا عنها؟

اسرائيل كانت نموذجاً حاضرا حيث التطرف الدينى هناك له حضوره المشهود، وهو يسبب ازعاجات كثيرة للسلطة حقاً، لكن آلية النظام السياسى لم تقع فى محظور الاشتباك مع تلك التنظيمات المتطرفة، على النحو الحاصل فى بعض اقطارنا العربية، وانما وظف التطرف لصالح المشروع الاستيطانى الاسرائيلى، واصبحت تلك الجماعات المزعجة سياسيا هى اداة النظام الإسرائيلى فى احتلال أراضى العرب ومنازلهم ومحاولة احراق المسجد الأقصى وبناء المستوطنات وارهاب العرب، وغير ذلك من المجالات التى تدور فى محيط تحقيق الحلم الصهيونى، وهكذا فإن التطرف تحول من خطر يهدد النظام ليصبح أحد الأساليب الشريرة التى يستخدمها النظام لتنفيذ مشروعه.

● يوم الخميس ٢٩ أبريل الماضى نشرت صحيفة «المسلمون» تقريرا على صفحتها الأولى حول «العرب الأفغان» جددت فيه الدعوة إلى التفكير فى توظيف طاقاتهم لصالح الأمة التى هى أحوج ما تكون إلى جهادهم فى ميادين شتى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

غير أنني فوجئت صبيحة اليوم التالى (٣٠ ابريل) بتقرير على الصفحة الاولى فى جريدة «القبس» الكويتية، كان عنوانه الرئيسى هو: «فيلق إسلامي فرنسى للتدخل السريع». جاء فى التقرير الذى بعث به مندوب الجريدة فى لندن: أن فرنسا تخطط لإنشاء المعادل الإسلامى للفرقة الاجنبية، التى تعد اشهر الوحدات العسكرية الفرنسية، وتتالف الوحدة المزمع انشاؤها بالكامل من جنود مسلمين، أكثرهم من «العرب الافغان»، ونسبة كبيرة منهم من الجزائر ومن باقى دول شمال افريقيا. وفيهم مصريون وليبيون ولبنانيون وخليجيون ايضا.

● طبقا لما ورد فى التقرير، فقد تم توقيع عقود مع ٢٠٠ شخص من هؤلاء وتم اختيارهم بعناية للتثبت من لياقتهم النفسية والجسدية، وهؤلاء يدربون الآن فى معسكرات الفرقة الاجنبية فى «كالفى» بجزيرة كورسيكا.

هدف المشروع هو استخدام اولئك الجنود عندما تنشأ الحاجة للتدخل العسكرى فى المناطق الحساسة من العالم الإسلامى.

واضافة إلى احتواء هؤلاء المسلمين، وابعادهم عن الالتحاق بالجماعات المتطرفة فى شمال افريقيا، فان الفرنسيين يعتقدون أن تشكيلهم لذلك الفيلق الإسلامى سيجعل البلدان الإسلامية ترحب بهم.

فى الوقت ذاته فان الفرنسيين يسعون إلى زيادة نفوذهم فى البلاد الإسلامية وخاصة تلك التى اصبحت سوقا رئيسية لانتاجهم من السلاح. ويعد تجنيد المسلمين ميزة تجعل تلك الدول تفضل الاستعانة بهم على الاستعانة بقوات غير مسلمة كما هو الحال بالنسبة للقوات البريطانية او الامريكية.

وقد ساعدت التجربة الصومالية ودروس حرب تحرير الكويت على بلورة هذه الفكرة لدى الفرنسيين بعد أن ظلوا يتدارسونها لعدة سنوات.

بوجه اخص فان الحوادث التى ارتكبها الجنود الفرنسيون فى الصومال من جراء ممارساتهم السلوكية غير المقبولة فى المجتمعات الإسلامية وصلت إلى خمسين حادثا خلال شهرين، وفى واحدة من تلك الحوادث قتلت فتاة صومالية لأنها اقامت علاقة مع بعض أولئك الجنود.

● اشار التقرير إلى أن اولئك الافغان العرب نزحوا الان باعداد ملحوظة إلى ألمانيا وفرنسا وأن الجهود الفرنسية للاستفادة منهم اثارت حفيظة بعض الزعماء العرب، وقد بحث أحدهم الموضوع مع الزعماء الأوروبيين فى الشهر الماضي، وحين ناقشت الاستخبارات الامريكية الفرنسية فى الموضوع، رد هؤلاء بأن استقطاب «الافغان» فى الفرقة المزمع انشاؤها افضل من مشاركتهم فى اثارة القلاقل فى بلدانهم بدليل أن الذين عادوا منهم إلى الجزائر انضموا إلى جبهة الانقاذ. قال الفرنسيين أيضا: إن الانضباط الذى تتميز به الفرقة الاجنبية سوف ينأى بهم بعيدا عن الانشطة الارهابية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بالنسبة لى، كان التقرير مفاجأة مثيرة لا تخلو من مفارقة مرة. ففى حين تمنيت فى ذاك اليوم أن تلجأ الدول العربية والإسلامية إلى توظيف مجموعات الشباب العربى الافغانى، إذا بى افاجأ فى اليوم التالى بأن فكرة التوظيف تبلورت بالفعل، ولكن المستفيد منها هم الفرنسيون وليس العرب، وإذا صح التقرير المنشور الذى تضمن تفاصيل لافتة للنظر حديث عدد الذين تم التعاقد معهم ومكان تدريبهم، فهو يعنى أن الخبرة التى حصلها المجاهدون العرب بصدد أن تستثمر لصالح المشروع والطموح الفرنسيين وليس لصالح الامة الإسلامية التى انجبت هؤلاء ورعتهم. كما يحدث فى العقول العربية التى تعد وتربى وتؤهل فى العالم العربى لكنها فى نهاية المطاف تستجلب إلى الدول الغربية والولايات المتحدة خاصة، لتوظف طاقاتها فى خدمة إنهاض تلك الدول وتقدمها، فان الامر ذاته يتكرر فى الحالة التى نحن بصددها، وان كانت المفارقة أكبر وأشد مرارة، إذ المستخدم هنا ليس عقولا عربية، ولكن طاقات إيمانية وجهادية، عجز العالم العربى والإسلامى عن الافادة منها، فلفظها ولاحقها، حتى لم تجد ملاذا لها سوى الالتحاق بمعسكرات الفرقة الاجنبية فى جزيرة كورسيكا!

هو خيار يائس ما فى ذلك شك، لا أعرف نوعية «المجاهدين» الذين قبلوا به، ولا المنطق الذى اقنعهم بقبوله، لكننى اتصور أن المصير المحزن الذى ينتظر هؤلاء فى بلدانهم ربما شجعهم على تجنبه بأية وسيلة وربما بأى ثمن، وحين يقرأ هؤلاء أن اوامر القبض عليهم تنتظرهم فى المطارات العربية فربما خطر على بال بعضهم من المحبطين واليائسين أن أى شىء آخر قد يكون ارحم واكثر احتمالاً.

● لست أشك فى ان نفرا منهم قال قولة النبى يوسف عليه السلام: «قال رب السجن احب الى مما يدعوننى إليه» لكننى ازعم أن السخط والادانة لا ينبغى ان يكونا من نصيب الذين قبلوا بالانخراط فى الفرقة الفرنسية، ولكنهما يجب أن يوجها - بالدرجة الاولى - إلى أوضاعنا العربية والإسلامية التى فشلت فى استيعابهم، وعاملتهم كمشبوهين ومجرمين!

لا يكاد المرء يصدق أن يصل بنا العجز وسوء التقدير الى ذلك الحد المدهش، بذات القدر فان المرء يعجب أشد العجب حين يرى عالمنا الإسلامى والعربى يعانى مما نعرف من مشكلات الاحتلال والتخلف، والبؤس والتبشير، وكلها ميادين واسعة للجهاد، ومع ذلك لا يخطر على بالنا أن نوظف طاقات أولئك الشباب فى تلك الميادين، بل نذهب إلى أبعد فنتهمهم ونحاكمهم ونلطخ سمعتهم وصورتهم حتى ننفر الناس من سيرة الجهاد وأهله!

هل هذا معقول؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية